ث. حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي :

تنسب هذه الحركة إلى المختار بن أبي عبيد الثقفي الذي ولد ونشأ في مدينة الطائف ، ويقال : أنه ولد في السنة الأولى التي هاجر فيها الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة[٣] ، أما أبوه عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير الثقفي ، ولد ونشأ في مدينة الطائف وأسلم في حياة النبي ﷺ وله صحبة معه[٤] ، ثم استعمله الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قائداً للحملة العسكرية المتوجهة إلى تحرير العراق ، وبذلك خرج أبو عبيد الثقفي على رأس تلك الحملة وبرفقته زوجته دومة بنت عمرو بن وهب وأبناءه جبر والمختار[٥] .

استطاع أبو عبيد أن يحقق بعض الانتصارات على الفرس مما أقلقهم وجعلهم يحشدون قواتهم لملاقاة المسلمين ، فالتقى الطرفان في موقعة الجسر سنة

---

(١) البلاذري ،انساب الأشراف ،ج٦ ، ص٣٧١ ؛الطبري ،تاريخ الرسل والملوك ،ج٥ ،ص٥٩٨.
(٢) البلاذري ، انساب الأشراف ، ج٦ ، ص٣٧١ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٥٩٩ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٢٦٦ .
(٣) ابن قتيبة ، المعارف ، ص٤٠٠ ؛ الكتبي ، فوات الوفيات ، ج٤ ، ص١٢٣ .
(٤) ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٦ ، ص٢٠١ ؛ ابن حجر العسقلاني ، الإصابة ، ج٦ ، ص٢٧٥ .
(٥) البلاذري ، انساب الأشراف ، ج٦ ، ص٣٧٥ .

(١٣هـ/ ٦٣٤م) ، وانتهت المعركة بمقتل أبو عبيد الثقفي وهزيمة المسلمين ، وفي هذه المعركة كان المختار حاضراً وشاهد مصرع أبيه وأخيه جبر وكان عمره آنذاك ثلاث عشرة سنة[١] .

وفي العراق عاش المختار مع عمه سعد بن مسعود الثقفي الذي كان والياً على المدائن للإمام علي عليه السلام ، وتزوج بنت النعمان بن بشير الأنصاري . وكانت له ضيعة (أرض زراعية) بالقرب من منزله تدعى الخطرنية كان يعمل فيها مع مواليه[٢] ، ولم يظهر المختار على مسرح الأحداث السياسية إلا بعد قدوم مسلم بن عقيل إلى الكوفة فاستقبله المختار في داره ، وأخذت الناس تتجمع عليه لإعلانهم البيعة للإمام الحسين عليه السلام ، ولما انتهى أمر مسلم بن عقيل بالقتل أمر عبيد الله بن زياد بالقبض على المختار ثم ألقاه في السجن متهماً إياه بالتستر على أعداء الخلافة الأموية[٣] ، إلا أنه استطاع أن يخرج من السجن بعد أن توسط له عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي كان متزوجاً من أخت المختار عند يزيد بن معاوية ، فخرج من السجن ولكنه نفي خارج الكوفة بشرط من ابن زياد[٤] .

فذهب المختار إلى الحجاز واتصل بعبد الله بن الزبير في مكة وحارب إلى جانبه في أثناء الحصار الذي فرضه الحصين بن نمير السكوني ، وبينما كان القتال مستمر وصل خبر وفاة يزيد بن معاوية فتوقف القتال ، وعاد المختار إلى الكوفة

---

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٢ ، ص٧٩ ؛ ابن الأثير ، اسد الغابة ، ج٦ ، ص٢٠١؛ ابن حجر العسقلاني ، ج٦ ، ص٢٧٥ .

(٢) البلاذري ، انساب الأشراف ، ج٦ ، ص٣٧٦ .

(٣) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ص٢٥٨ .

(٤) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٢٣١ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٢٥٨ .

وادعى للناس أنه موفد إليهم من قبل محمد بن الحنفية للأخذ بثأر الإمام الحسين عليه السلام فاستجاب إليه عدد كبير من أهل الكوفة ، كما نجح في ضم بقايا التوابين إلى جانبه ، ولكن بعض أشراف أهل الكوفة لم يكونوا مطمئنين إلى نوايا المختار وادعائه ، فحذروا والي الكوفة منه فقبض عليه وأودعه السجن ، ولكنه استطاع أن يخرج من السجن مرة أخرى بشفاعة عبد الله بن عمر ﷺ وبكفالة عشرة من وجهاء أهل الكوفة[1] .

واستمر أمر المختار يتنامى في الكوفة حتى استعمل ابن الزبير عبد الله بن مطيع والياً على الكوفة سنة (٦٦هـ/ ٦٨٥م) ، فعزم المختار على إظهار دعوته واستعان بإبراهيم بن مالك الاشتر النخعي ، وبفضل تعاون ابن الاشتر تمكن المختار من اقتحام قصر الإمارة بالكوفة وطرد واليها منها[2] ، ونتيجة لذلك فقد هرب بعض أشراف الكوفة إلى البصرة ، أما الباقون فقد بايعوا المختار على كتاب الله وسنة رسوله ، والمطالبة بدماء أهل البيت والدفاع عن الضعفاء ، وبذلك استطاع المختار أن يفرض سيطرته على الكوفة والعراق والمناطق الشرقية مثل همذان واصبهان والري وعين عليها الولاة[3] .

كانت حركة المختار في بداية الأمر تضم عناصر كثيرة من القبائل العربية ، ثم ازدادت قوته بعد أن انضم تحت قيادته جموع كثيرة من الموالي ، فقد انضم إليه أول الأمر خمسمائة ثم ازداد عددهم إلى أربعين ألف وكان معظم هؤلاء

---

(١) البلاذري ، انساب الأشراف ، ج٦ ، ص٢٨٨ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٣٢.

(٢) البلاذري ، انساب الأشراف ، ج٦ ، ص٢٨٥-٢٨٨ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص١٦ .

(٣) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٢٩٩ ؛ البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٦ ، ص٢٨٨ .

الموالي من الفرس[١] ، وحاول المختار في أول الأمر أن يوفق بين جميع العناصر التي انضمت إلى حركته ، لكنه لم يستطع أن يستمر طويلاً في محاولة التوفيق بين أشراف الكوفة والموالي ، لأن مصالح الاثنين كانت متعارضة تماماً ، فقد لاحظ الموالي مجاملة المختار لأشراف أهل الكوفة فشكوا ذلك إلى كيسان زعيمهم وقائد حرس المختار غير أن المختار طمئنهم ، وفي الوقت نفسه لم يرض العرب أيضاً عن سياسة المختار في التقرب من الموالي لاسيما بعد أن قرب مجالسهم وسمح لهم بمشاركة العرب بالفيء وركوب الخيل[٢] .

ويبدو أن سياسة المختار الأخيرة في اعتماده على الموالي لم ترق لبعض قبائل الكوفة لاسيما قبائل كندة إذ خلعوا طاعته واجتمعوا على محاربته وثاروا ضده في جبانة السبيع (محلة بالكوفة) سنة (٦٦هـ/ ٦٨٥م)، فخرج إليهم إبراهيم بن مالك الاشتر فقاتلهم وتمكن من تحقيق الانتصار عليهم بعد أن قتل منهم نحو خمسمائة واسر نحو مائتين منهم ، أما البقية فقد هربوا الى البصرة والتحقوا بمصعب بن الزبير[٣] .

بعد هذه الموقعة كان على المختار أن يستعد لمواجهة خطر الجيش الأموي الزاحف نحو العراق بقيادة عبيد الله بن زياد ، فجهز المختار حملة عسكرية بقيادة إبراهيم بن مالك الاشتر، وعند نهر الخازر – بالقرب من الموصل – في العاشر من محرم سنة (٦٧هـ/ ٦٨٦م) التقى الجيشان ودارت معركة عنيفة قتل فيها عبيد الله بن زياد والحصين بن نمير السكوني وشرحبيل بن

(١) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٣٠٦-٣٠٧ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٤٤ ؛ احمد وآخرون ، الدولة العربية الإسلامية ، ص٤٩ .

(٣) ابن أعثم ، الفتوح ، ج٦ ، ص٢٦٢ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٤ ، ص٢٢٠ .

ذي الكلاع مع عدد من جند الخلافة الأموية ، وكان النصر حليف جيش المختار وبذلك دانت له الموصل وأرمينية وأذربيجان[1] .

بعد هذه الانتصارات التي حققها المختار كان عليه أن يواجه خطر عبد الله بن الزبير الذي عين أخاه مصعباً والياً على البصرة وأمره بحرب المختار ، فاستعد مصعب لحرب المختار لاسيما وإن الكوفيين الذين التجأوا إلى البصرة كان عددهم أكثر من عشرة آلاف ، طلبوا من مصعب أن يخلص الكوفة من المختار ، وبذلك أخذ مصعب يجمع الجند واستدعى المهلب بن أبي صفرة عامله على فارس للانضمام إلى جيشه ، ثم سار مصعب بنفسه إلى قتال المختار في جيش كبير ، واشتبك مع جيش المختار في المذار (ميسان) سنة (٦٧هـ/ ٦٨٦م) وتمكن من الانتصار عليه بعد أن قتل احمر بن شميط قائد جيش المختار ، ولم ينجُ من هذه المعركة سوى الذين نقلوا خبر الهزيمة إلى المختار ، ثم واصل مصعب زحفه نحو الكوفة واضطر المختار إلى التراجع أمام ضربات جيش مصعب ، وتحصن داخل قصر الإمارة في الكوفة ، وتم محاصرته لأربعة أشهر ، وقيل : أربعين يوماً ، وأمام هذا الحصار اضطر المختار إلى الخروج فقاتل حتى قتل في الرابع عشر من رمضان سنة (٦٧هـ/ ٦٨٦م) ، وهكذا خضع العراق كله لعبد الله بن الزبير[2] .

---

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٤٥ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٣٢٧ .

(٢) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٣٠٨ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص١٠٨ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٣٤٠-٣٤١ ؛ الكتبي ، فوات الوفيات ، ج٤ ، ص١٢٣ .

ج. حركة عمرو بن سعيد الاشدق :

هو عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية المسمى بالأشدق لفصاحته وبلاغته[١] ، كان يطمح إلى الخلافة وذلك بحسب مقررات مؤتمر الجابية التي نصت أن تكون الخلافة الى مروان بن الحكم ومن بعده لخالد بن يزيد ومن بعده لعمرو بن سعيد[٢] ، لكن مروان جعلها لولديه عبد الملك وعبد العزيز من بعده[٣] ، الأمر الذي أثار نقمة عمرو بن سعيد على العكس من خالد بن يزيد الذي انصرف إلى شؤونه واهتماماته العلمية لاسيما علم الكيمياء[٤]

ويبدو أن مروان بن الحكم قد وعد عمرو بن سعيد بالخلافة من بعده أو أنه جعل ولاية العهد له بعد ابنه عبد الملك[٥] ، لهذا كان عمرو بن سعيد أشد الناس في أمر مروان بن الحكم حتى ولي الخلافة[٦] ، فلما مات مروان وبويع عبد الملك بالخلافة رأى من الحكمة أن يداهن عمرو بن سعيد ، فيبدو أنه وعده بالخلافة من بعده وذكره أنه من العار أن يتخلف بنو أمية وهناك ابن الزبير على وشك أن ينتصر ، فبقي عمرو بين القناعة بهذا الوعد وبين الرغبة في

---

(١) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٣ ، ص١٠٢ ؛ الكتبي ، فوات الوفيات ، ج٣ ، ص١٦١ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج٩ ، ص١٥٨ ؛ وقيل : سمي بذلك لأنه كان أفقم مائلاً إلى الذقن فمن أجل ذلك قيل له : لطيم الشيطان لميل كان في فمه ، ينظر : النويري ، احمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ) ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، (القاهرة – بلات) ، ج٢١ ، ص١٠٠ .

(٢) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٣٥٨ ؛ البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٦ ، ص١٣٤ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٦١٠ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٦١٠ .

(٥) الكتبي ، فوات الوفيات ، ج٣ ، ص١٦١ .

(٦) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٥ ، ص١٤٣ .

اعلانه وتثبيته ، وظل الحال على ذلك حتى سنة (٦٩هـ/ ٦٨٨م) أو (٧٠هـ/ ٦٨٩م)[١] .

بدأت شرارة الحركة حينما خرج عبد الملك بن مروان من دمشق نحو العراق لمحاربة مصعب بن الزبير ومعه عمرو بن سعيد ، فلما شارف على نهر الفرات قال عمرو : كان أبوك قد وعدني أن يوليني الأمر بعده وعلى ذلك قمت بشأنه وحاربت معه ، فاجعل لي الأمر بعدك ، لكن عبد الملك لم يكترث لذلك ولم يجبه بشيء يسره ، فانصرف عمرو مع أتباعه على حين غفلة من عبد الملك ليلاً عائداً إلى دمشق وتحصن بها[٢] ، وفي رواية أخرى إن ذلك تم حينما خرج عبد الملك إلى قرقيسياء لمحاربة زفر بن الحارث الكلابي واستخلف على دمشق عمرو بن سعيد ، فاستغل عمرو فرصة غياب عبد الملك فدعا الناس إلى البيعة وتحصن بدمشق[٣] ، وتذكر رواية أخرى أن عمرو بن سعيد كان مع عبد الملك حين خرج إلى قرقيسياء فرجع ليلاً إلى دمشق وتحصن بها[٤] .

وبكل الأحوال فإن عبد الملك حينما بلغه خبر رجوع عمرو بن سعيد عاد بقواته على الفور إلى دمشق وحاصرها ودارت بينهما بعض الاشتباكات استمرت ستة عشر يوماً ، ثم لعبت السياسة دوراً بين الاثنين حيث تدخل بنو أمية وأشراف أهل الشام بينهما حتى تصالحا على شروط أهمها أن تكون الخلافة باسم عبد الملك بن مروان فإن مات عبد الملك فالخليفة من بعده لعمرو بن سعيد ، وأن يستشيره في الأمور كلها وجميع قراراته ، وأن يوليه بيت المال

(١) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٢٨٦ ؛ شلبي ، الدولة الأموية ، ص٥٩ .
(٢) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٥ ، ص٣٤٣ .
(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص١٤٠ .
(٤) المصدر نفسه ، ج٦ ، ص١٤٠ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١١ ، ص١١٤ .

والديوان ، وأن يكون مع كل عامل لعبد الملك شريك لعمرو بن سعيد ، وكتب بينهما كتاباً واشهدوا عليه أشراف أهل الشام[١] .

ويبدو إن عبد الملك لم يكن راغباً في تنفيذ هذا الاتفاق ، ويتضح ذلك حينما سأله روح بن زنباع الجذامي الصديق الوفي لعبد الملك ذات يوم هل من رأيك الوفاء لعمرو؟ ، فرد عليه عبد الملك ويحك يا ابن زنباع ، وهل اجتمع فحلان في هجمة قط إلا قتل أحدهما صاحبه[٢] .

وهكذا كان يرى عبد الملك إن ملكه مزعزع لاسيما وإن عمرو بن سعيد كان معجباً بنفسه مغتراً بأعدائه ولا يمكن أن يأمنه ، ولذلك أخذ يعمل على تصفيته والخلاص منه ، إذ أرسل إليه فأتاه عمرو بن سعيد في مائة رجل من مواليه ، فأمر عبد الملك بحبس من معه وأذن له بالدخول ، فاجتمع مع عبد الملك رجال الدولة ، ثم أمر عبد الملك غلامه بقتل عمرو بن سعيد فقتله ، وكان ذلك سنة (٧٠هـ/ ٦٨٩م)[٣] ، وحاول أصحاب عمرو بن سعيد اقتحام القصر ومقاتلة عبد الملك ، فلما أحس بهم يحيطون بالقصر ألقى إليهم رأسه وألقى معه الأموال ، فلما رأى الناس الرأس والأموال يئسوا من نصرته وانهالوا على الأموال يلتقطونها وتفرقوا ، وبذلك استتب أمر دمشق لعبد الملك بن مروان[٤] .

---

(١) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٢٨٦ ؛ البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٥ ، ص٤٤٤ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص٨٩ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٨ ، ص٣٣٨ .

(٢) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٢٨٦ .

(٣) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٢٨٦ ؛ البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٥ ، ص٤٤٤ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص٩١ .

(٤) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٥ ، ص١٥٥-١٥٧ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٣٥٩ .